

كفى بالموت واعظا

أما بعد: عباد الله: في شهر شعبان من هذه السنة لفت انتباهي كثرة الموتى فيه، ففي يوم نذهب لنصلي على أن أحد المعارف والأحباب، وفي آخر نذهب نعزي في رجال وأطفال ونساء، وبشكل غريب، وكأن هذا الشهر قد تميز أنه شهر الأموات، ووالله يا أهل المسجد من أولنا ذهابا إلى الله وهل سيكون أحد منا في عداد موتى هذا الشهر، ما ندري ما عند الله ﴿وَمَا

تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

أيها الناس: أوصيكم ونفسي بتقوى الله فمن لا يتقي الله تشابحت عليه السبل: { إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا }.

عباد الله: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آت قريب، إن ربكم لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدا، فتزودوا من دنياكم ما تحرزون به أنفسكم غدا.

فالأجل مستور، والأمل خادع، تمر الجنائز بالناس يجهزونها ويصلون عليها، ويسيرونها خلفها يشيعونها محمولة إلى مثواها الأخير.

فتراهم يلقون عليها نظرات عابرة، وربما طاف بهم طائف من الحزن يسير أو أظلمهم ظلال من الكآبة خفيف، ثم سرعان ما يغلب على الناس نشوة الحياة وغفلة المعاش.

أيها الإخوة: أهل الغفلة أعمارهم عليهم حجة، وأيامهم تقودهم إلى شقوة. كيف تُرَجِّى الآخرة بغير عمل؟ أم كيف ترجى التوبة مع الغفلة والتقصير وطول الأمل؟؟

ويل لأهل الغفلة: إن أعطوا لم يشبعوا، وإن منعوا لم يقنعوا، يأمرن بما لا يفعلون، ينهون وهم لا ينتهون، هم للناس لوامون ولأنفسهم مداهنون، ويل لمن أضاع عمره في التفاهات والضياع والخرابات.

يا أهل الغفلة: هذه الدنيا كم من واثق فيها فجعته؟ وكم من مطمئن إليها صرعته؟ وكم من محتال فيها خدعته؟ وكم من مختال أصبح حقيرا؟ وذو نخوة أردته ذليلا؟

سلطانها دول وحلوها مر، وعذبها أجاج، وعزيزها مغلوب، العمر فيها قصير، والعظيم فيها يسير، وجودها إلى عدم، وسرورها إلى حزن، وكثرتها إلى قلة،

وعافيتها إلى سقم، وغناها إلى فقر. دارها مكاراة، وأيامها غرارة، ولأصحابها بالسوء أماراة.

الأحوال فيها إما نعم زائلة وإما بلايا نازلة وإما منايا قاضية، عمارتها خراب، واجتماعها فراق، وكل ما فوق التراب تراب.

أهل الغفلة لا يشبعون مهما جمعوا، ولا يدركون كل ما أملوا ولا يحسنون

الزاد لما عليه قد أقدموا، يجمعون ولا ينتفعون، وبينون ما لا يسكنون، ويأملون

ما لا يدركون: ﴿ذُرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

طويل الأمل: يبني ويهدم، وينقض ويبرم، ويقدر فيخطئ التقدير. يقول

ويفعل، ويخطط ويدبر، وتأتي الأمور مخالفة للتدبير.

يسيء في الاكتساب ويُسوّف في المتاب، ثم ها هو قد تم أجله وانقطع عمله

وأسلمه أهله، وانقطعت عنه المعاذير: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ - ثُمَّ

جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ - مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ﴾.

يا أهل الغفلة: أيها المسلمون أيها المسلمات: عن أبي هريرة، قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثرُوا ذكر هادم اللذات»، يعني الموت.

رواه ابن ماجه.

بهذا أوصى نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم كلام مختصر وجيز، قد جمع

التذكرة وأبلغ في الموعظة؛ فمن ذكر الموت حق ذكره حاسب نفسه في عمله

وأمانيه، ولكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ وتزويق الألفاظ.

أكثرها من ذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات، **(فما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه، ولا سعة إلا ضيقها)**. رواه الطبراني.

وايم الله ليوشكن الباقي منا ومنكم أن يبلى، والحى منا ومنكم أن يموت وأن تدار الأرض منا كما أدلنا منها، فتأكل لحومنا وتشرب دمائنا، كما مشينا على ظهرها وأكلنا من ثمرها وشربنا من مائها ثم تكون كما قال الله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾.

لقد وقف نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم على شفير قبر فبكى حتى بل الثرى ثم قال: **(يا إخواني مثل هذا فأعدوا)**. رواه ابن ماجه.

وسأله عليه الصلاة والسلام رجل فقال: من أكيس الناس يا رسول الله؟ فقال: **(أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له، أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة)**. رواه الطبراني.

وقال: **"الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت"**. رواه الترمذي.

يقول الحسن رحمه الله: إن الموت قد فضح الدنيا فلم يدع لذي لبّ بها فرحا.

ويقول يونس بن عبيد: ما ترك ذكر الموت لنا قرّة عين في أهل ولا مال.
ويقول مطرف: إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فالتمسوا
نعيمًا لا موت فيه، لقد أمن أهل الجنة الموت فطاب لهم عيشهم وأمنوا
الأسقام فهنيئًا لهم طول مقامهم.

أيها المسلمون: اذكروا الموت والسكرات، وحشجة الروح والزفرات، اذكروا
هول المطلّع.

من أكثر ذكر الموت أكرمه الله بثلاث: تعجيل التوبة، وقناعة القلب،
ونشاط العبادة. ومن نسي الموت ابتلي بثلاث: تسويف التوبة، وترك الرضى
بالكفاف، والتكاسل في العبادة.

كفى بالموت للقلوب مقطعا، وللعيون مبكيا، وللذات هادما، وللجماعات
مفرقا، وللأمانى قاطعا.

استبدل الأموات بظهر الأرض بطنا، وبالسعة ضيقا، وبالأهل غربة، وبالنور
ظلمة، جاءوها حفاة عراة فرادا.

اللحود مساكنهم، والتراب أكفانهم، والرفات جيرانهم لا يجيبون داعيا، ولا
يسمعون مناديا، كانوا أطول أعمارا وأكثر آثارا، فما أغناهم ذلك من شيء
لما جاء أمر ربك، فأصبحت بيوتهم قبورا، وما جمعوا بورا، وصارت أموالهم

للوارثين، وأزواجهم لقوم آخرين. حلَّ بهم ريب المنون، وجاءهم ما كانوا يوعدون: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾.

هل تفكرت يا عبد الله يوم المصراع، يوم ليس لدفعه حيلة، ولا ينفع عند نزوله ندم. أزلَّ عن قلبك غشاوة الغافلين، فإنك واقف بين يدي من يعلم وسواس الصدور، ومن يسأل عن لحظات العيون، ويحاسب على إصغاء الأسماع: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

تذكر الموت يردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ويمنع الركون إلى الدنيا، ويهون المصائب. تذكروا الموت لعلكم تسلمون من حسرة الفوت.

يقول الحسن رحمه الله: اتق الله يا بن آدم، لا يجتمع عليك خصلتان: سكرة الموت وحسرة الفوت. احذر السكرة والحسرة يفجأك الموت وأنت على غرة فلا يصف واصف قدر ما تلقى ولا قدر ما ترى. احذر لا يأخذك الله على ذنب فتلقاه ولا حجة لك.

أيها الإخوة: أين الخائف من قلة الزاد؟ وأين المتخفف من أثقال الدنيا؟ أين الوجل من بعد السفر ووحشة الطريق؟ اكتفى من الدنيا بطمريه ومن طعامه بقرصيه. استعان على دنياه بالعفة والسداد فكفاه في دنياه القليل من الزاد. لقد استحيا من ربه حق الحياء تذكر الموت والبلى فحفظ الرأس وما وعى

والبطن وما حوى أراد الآخرة فترك زينة الحياة الدنيا. آثر ما يبقى على ما يفنى ذلكم هو كَيْس الأكياس.

ألا فاتقوا الله رحمكم الله واحفظوا الله ما استحفظكم وكونوا أمناء على ما استودعكم، فإنكم عند ربكم موقوفون، وعلى أعمالكم مجزيون وعلى تفريطكم نادمون. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا أَحْيَاؤُا الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَّعَ الْغُورُورُ﴾.

** ** * * *

الخطبة الثانية

الحمد لله غير مقنوط من رحمته، ولا مأیوس من مغفرته، أحمده سبحانه وأشكره على سوابغ نعمته، وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ومصطفاه من رسله، وخيرته من بريته. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن سار على نهجه واستمسك بسنته وحافظ على شريعته وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون: توبوا إلى الله قبل أن تموتوا:

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ما ينتظر أحدكم إلا غنى مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً،

أو موتا مجهزا، أو الدجال والدجال شر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة
أدهى وأمر». رواه الحاكم.

لا تكونوا - رحمكم الله - ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول
الأمل.

وقد علمتم أن الموت يأتي بغتة. أكثروا من زيارة القبور فإنها تذكر الآخرة.

اعتبروا بمن صار تحت التراب وانقطع عن أهله والأحباب، جاءه الموت في
وقت لم يحتسبه وهول لم يرتقبه. وليتأمل الزائر حال من مضى من أقرانه،
أكثروا الآمال وجمعوا الأموال انقطعت آمالهم ولم تغن عنهم أموالهم، محا التراب
محاسن وجوههم، وتفرقت في القبور أشلائهم، وترملت من بعدهم نساؤهم
وقسمت أموالهم ومساكنهم: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾.

اتقوا الله رحمكم الله وارجوا الدار الآخرة فتلك دار لا يموت سكانها، ولا

يخرب بنايها، ولا يهرم شبابها، ولا يبلى نعيمها، ولا يتغير حسنها وإحسانها
وحسانها، يتقلب أهلها في رحمة أرحم الراحمين: ﴿دَعْوُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ
وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.